دار القرآن الكريم وعلومه
مؤسسة الشهيدين الصدرين العامة

موقف الإمام المهديّ(عج) من العنصريّة

المرحوم هيثم حيدر التميميّ

موقف الإمام المهديّ(عج)

من العنصريّة

الكراس:
موقف الإمام المهديّ(عج) من العنصريّة

المؤلف:

المرحوم هيثم حيدر التميميّ

الناشر:

دار القرآن الكريم وعلومه

سنة الطبع:

١٤٣٢هـ-٢٠١١م

عدد النسخ:
٢٠٠٠

البريد الالكتروني:
alsabeel_m@yahoo.com

التصميم والإخراج الفني:

ليث عباس

موقف الإمام المهديّ(عج)
من العنصريّة

المرحوم هيثم حيدر التميميّ

من إصدارات مؤسسة الشهيدين الصدرين العامة

المقدّمة:

لعلّ مسألة حلول اليوم الموعود وقيام دولة العدل الإلهـــيّ بقيادة الإمام المهديّ(عج) وإشرافه، وعيش البشريّة كافة العـــدل والخير المحض هي أمرٌ مسلّم به، ولا خلاف عليه بين اثنـــين، لِما لهذا الأمر من أدلّة وبراهين عقليّة ونقليّة وردت في كثير من بطون كتب التأريخ والبحوث والدراسات التي أُشبعت بالروايات والأخبار الواردة عن أهل البيت(عليهم السلام أجمعين)..إلا أننا نحاول وعلى صفحات هذا البحث مناقشة شكل من أشكال هـــذه الدولة المهدويّة العالميّة المباركة ودراستها؛ فضلاً عن جانـــب مهمّ من جوانبها المتعدّدة .

فبعد أن تيقنا بحتميّة ظهور الإمام المهديّ(عج) وقيادتـــه الكون وإدارته، وتطبيق الأطروحة العادلة الكاملة على عمومه، والإشراف عليه لتعيش البشريّة العدل الكامل والخير المحـــض في ظلّ دولته العادلة، ونظامه الكامل لثبوت ذلك فـــي الأدلـــة القرآنيّة والسنّة المطهّرة، والروايات الواردة عـــن أهـــل بيـــت النبوّة(سلام الله عليهم أجمعين)؛ فضلاً عـــن ارتبـــاط ظهـــوره الميمون بإرادة الله تعالى النافذة على عباده، والواقعـــة ضـــمن تخطيطه المبارك المتحقق -لا محالة- وغيـــر القابـــل للتخلـــف، وعدم الوقوع بأيّ حال من الأحوال..لـــذا لابـــدّ مـــن معرفـــة موقفه(سلام الله عليه)من جملة من المفاهيم والمصاديق التي قـــد

تخطر في أذهاننا ممّن عاصرها الفرد وعايشها في الحقبة التـــي سبقت الظهور.

ومن هذه المفاهيم مفهوم (**العنصريّة**) والتحزب الضيّق..إذ لا تجد وعلى امتداد سلسلة التأريخ الطويل نموذجـــاً لنظـــامٍ، أو نظريّة، أو فكر، ومعتقد إلا وقد وقع معتنقوه، ومؤيّدوه، وقادتـــه في إحدى مصاديقها الضيّقة ذات النظرة المحدودة فـــي الأفـــق والمتحزبة لفكرٍ معيّن وانحسارها على جماعة معيّنـــة،أو فئـــة محدّدة دون سواها على أساس(**الدم،واللغة،واللون،والوطن،والقبيلة والحزب**)؛ وما إلى ذلك من جملة من هذه الأشكال التي أُبتليـــت بها الأمم على مدى التأريخ البشريّ؛ إذ تبدو للعيان، وقد رافقت جميع النظم والنظريّات التي سبقت الأطروحة العادلـــة الكاملـــة بالشكل الذي لا يمكن لأحد منّا إنكارها أو القول بعدمِها..

ولبيان ذلك لابدّ من القول بأنّ العنصريّة: هي عبارة عن مفاهيم عدّة لها مدلول أنانيّ ضيّق ناجمٌ عن محدوديـــة الفكـــر، وقصور متبني هذا الفكر المتحزّبين له؛ على أســـاس تفـــضيل عنصر من البشر على عنصر آخر وَفقاً لأسسٍ غير موضوعيّة، ولا تستند إلى أيّ دليل عقلائيّ؛ فهي تصنف أولويّة العناصـــر البشرية وأهميّتها؛ وفقاً لمعاييرَ ومقاييسَ لا تخلو من الوقوع في الخطأ، ومجانبة الصواب؛ فضلاً عن سقوطها أكيدًا في الرذيلـــة وابتعادها عن الفضيلة..

وعلى أساس ما تقدّم من أدلّة سيرد ذكرها في بحثنا هـــذا إن شاء الله لا يكون أمامنا إلاّ القول بـــالرأي الـــذي يجـــزم أنّ

موقف الإمام المهديّ(عج) تجاه العنصريّة ويؤكده؛ هو موقف المخالف لا المؤالف والمعارض لا المؤيّد لكلّ معنًى، أو مفهوم، أو مصداق ينطوي بين جنبات(العنصريّة) لوضوح أنّ دعوته(سلام الله عليه) إنما هي **دعوة عالميّة لا يقتصر أثرها وفعلها على فئة محدّدة، أو جماعة معيّنة فهي دعوة يصل فعلها وأثرها إلى كلّ البشر من دون استثناء لجماعة، أو تفضيل لأخرى، أو جهة دونما جهة، أو طائفة بالحطّ من شأن طائفة أخرى..**

وقبل الشروع في ذكر أدلتنا على ما نؤمن به لا بدّ من الإجابة عن سؤال قد يتبادر إلى الأذهان هو أنّ الإمام المهديّ(عج) وعلى جعل معاصرته ومعايشته لحقب الظلم التي خضع لها أتباعه، وأنصاره من محبّي أهل البيت(عليهم السلام)، ومشاهدته الحقيقيّة لحلقات الظلم التي أحاطت بهم في تلك الحقب من لدن أعدائهم ومناوئيهم في أثناء حقب التأريخ المظلمة التي مرّت بها الأمّة من ظلمٍ، وقساوة؛ فإنّ هذا الأمر ربّما سيكون له أثر في طبيعة نظام الدولة المهدويّة العالميّة وانعكاس عليه؛ في تفضيل (**الطائفة المظلومة**) على غيرها من الطوائف، وتقديم مصلحة جماعته على مصالح الآخرين..!! وهذا السؤال والإشكال غير قابل للمناقشة أصلاً؛ ويردّ على نفسه بنفسه، فالإمام المهديّ(عج) وطبيعة كونه قائداً مشرفاً على تطبيق العدل الإلهيّ وتحقيقه، لم يخضع لأيّ شكل من أشكال العنصريّة من عوالق الجاهليّة والعنصريّة البدائيّة ولن يخضع؛ فقد ذكرنا أنّ

دولته ودعوته إنما هي دعوة عالميّة تتعدّى كلّ هــذه الخطــوط الضيّقة وتتجاوزها..ولا يمكن لهذا القائد المظفر الذي ادّخره الله تعالى لعقود طويلة أن يقوم أساس حكمه وعدله علــى معــايير تنافي العقل وتعارضه؛ فضلاً عن منافاتها ومعارضتها للشريعة المقدّسة..

وإنْ علمْنا أنّ دعوة الإمام المهديّ(عج) قائمة على دين الإسلام ومرتكزة فيه، فإنّما هو(سلام الله عليه) يطبّق دين الإسلام علــى وجه الأرض، ويرفض أيّ عنصر آخر غيره ويدينه، ولمّا كنّــا نعلم أنّ الإسلام يصرّح ــ وبوضوح تامّ ــ بإلغــاء العنــصريّة وتهميشها وصهرها في التعامل وسلوك الفرد لقوله تعالى:﴿**يَــا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِــلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[١]، وهذا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وقوله الذي لا يحتاج إلى إيضاح وتوضيح:﴿**لا فضل لعربيّ على عجميّ إلاّ بــالتقوى**﴾[٢]؛ فهذا ما يكشف طبيعة موقف الإمام المهديّ(عج) بــشأن (آفــة) العنصريّة التي تقتل الشعور الجماعيّ لــدى الأمّــة، وتــصهر أواصرها. إضافة إلى قول أميــر المــؤمنين علــيّ بــن أبــي طالب(عليه السلام) حين يقول:﴿**لا تضعوا من رفعته التقــوى، ولا ترفعوا من رفعته الدنيا**﴾[٣]، بعد ذاك كيــف تــراه إمامنــا

---

[١] سورة الحجرات:الآية ١٣.

[٢] الصحيح من سيرة النبي الأكرم(ص)،ج٧

[٣] نهج البلاغة/ الخطبة ١٨٩.

المهديّ(عج) يميل إلى شيءٍ أو يتطرّف فيه؛ مهما كان يسيراً، أو كبيراً من العنصريّة؛ وهو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً، وهو الذي يطبق قوانين الشريعة الإسلاميّة، ويسير على نهج رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وجدّه أمير المؤمنين(ع) اللذين حاربا كلّ مظاهر الجاهليّة، ووقفوا بوجه أشكال العنصريّة القبليّة.

فالإسلام دين الناس جميعاً، وليس حكراً على أحد، أو خاصّاً بمجموعة ما..لقوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّه إِلَيْكُمْ جَمِيعاً**﴾[1]وقال أيضًا﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[2]، فالإمام المهديّ(عج) له أسوة بجدّهِ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الذي أرسل رحمة وهداية للناس كافة.

وقد بيّن الدين الإسلاميّ أسساً جديدة للتفاضل تختلف كلّيّاً ولا تمتّ لأيٍّ من أشكال العنصريّة بصلة .. وهي ثلاثة ذكرها المولى المقدّس(قده)في كتابه موسوعة الإمام المهديّ(عج)[3]،هي:.

---

[1] سورة الأعراف: من الآية ١٥٨.

[2] سورة سبأ: الآية ٢٨.

[3] موسوعة الإمام المهدي(عج) للمولى المقدس،تاريخ الغيبة الكبرى،ج٣،ص٨٠.

الأساس الأول. العلم/ قال الله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[١]..

الأساس الثاني. التقوى / قال تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[٢].

الأساس الثالث. الجهاد / قال الله تعالى: ﴿**لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً، دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً**﴾[٣].

هذا إذا ما التفتنا إلى التساوي بالإسلام، وحسن العقيدة، وصفاء النيّة وإخلاص التطبيق..

ولا يبقى بعد ذلك في الإسلام أيّ تفاضل، أو تفضيل عدا هذه الأسس الثلاث و(الإسلام) بريء كلّ البراءة من أيّ تفاضلٍ يقوم على أساس اللون، أو الدم، أو العرق، أو غيره من أشكال العنصريّة، والتحزبات الطائفيّة الضيّقة، و«إنما الناس سواسيّة أو(سواء) كأسنان المشط»[٤] تجاه عدله الكامل.

---

[١] سورة الزمر: من الآية ٩.

[٢] سورة الحجرات: من الآية ١٣.

[٣] سورة النساء: الآية ٩٥-٩٦.

[٤] تحف العقول ،ص٣٨٧.

فإذا كان هذا هو الرأي الصحيح للإسلام؛ وهو الأمر العادل بحكم العقل الذي يقرّه وتؤيّده فطرة الفكر السليمة؛ إذن فالإمام المهديّ(عج) سينتهج هذا النهج القويم، ويسير عليه، ويتخذه دستوراً تخضع له آيديولوجيته العامّة، ومنظومة تشريعاته، ونظامه لوضوح أنه هو مَن يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، ويطبق الأطروحة العادلة الكاملة لأنه مستند في كلّ تشريعاته، وقوانينه، وسننه؛ إلى قوانين الدين الإسلامي الحنيف وتعاليمه ..

بقي لنا مناقشة مجيء الإمام المهديّ(عج) بدين جديد، وكتاب جديد، وتطبيق جديد، إذ قد يتبادر إلى بال أحد منا أنه سيكون قريباً من العنصرية التي ينكرها ويدينها بشدّة الدين الإسلاميّ الحنيف.

المهدويّة..دين جديد وكتاب جديد..!!

إنّ أُولى أسس الرؤية الصحيحة لتعاليم الدين الإسلاميّ، وقراءة آيات القرآن الكريم في تدبّرٍ، ووعي، وإدراك تضعنا أمام حقيقة واضحة الدلالة والمعنى لرفض الدين الإسلاميّ الحنيف مبدأ العنصريّة، وإنكاره لها، وعدم تأييد كلّ من يقول بها، أو يعتمدها في أسلوبه، ونهجه، ونظامه، إلا أننا نجد في الجهة المقابلة لذلك؛ وتحديداً ما يخصّ ظهور الإمام المهديّ(عج)، وتطبيقاته، وتشريعاته، ورود ما مفاده ومضمونه أنّ الإمام المهديّ(عج) وقت ظهوره سيأتي بدينٍ جديد، وكتاب جديد، ونظام جديد.. لذا فاحتماليّة الوقوع في دائرة العنصريّة،

أو الاعتراف بأيّ شكل من أشكالها، أو انتهاج بعضٍ من قوانينها، وأطرها يصبح قائماً بصفة إشكال قد يتبادر إلى أذهاننا؛ فضلاً عن وروده على ألسن مناوئي الإمام المهديّ(عج)، ودولته العادلة الكاملة في الحقبة التي سبقت ظهوره (سلام الله عليه) .

وردّاً على ذلك نقول:. إنّ كلّ ما يعلنه الإمام المهديّ(عج)، ويتخذه من تشريعات وتطبيقات في نظام دولته العالمية- وإن بدا- لمخالفيه، ومناوئيه، والمنحرفين عن تعاليم الدين الإسلاميّ الواضحة جديداً ومختلفاً عمّا سبقه؛ وهو ما لا تدركه عقولهم المحدودة لقصورها عن إدراك التكليف الحقيقيّ لتعاليم الدين الإسلاميّ، وتطبيقها، أو لتقصيرهم الكبير عن واجباتهم ومسؤولياتهم في اتباع سنن القرآن الكريم، وتعاليم الدين الحنيف في الحقبة التي عاشوها قبل ظهور الإمام المهديّ(عج) ممّا سبّب فرقاً شاسعاً بين سياسة التطبيق القائمة في تلك الحقب، وبين سياسة التطبيق التي يتبعها، وينتهجها الإمام المهديّ(عج) لغياب المعصوم(سلام الله عليه) إلاّ أنّ ما سيأتي به الإمام المهديّ(عج) من تشريعات، وتطبيقات لا تتعدى أكثر من مستوى التطبيق الحقيقيّ العادل لتعاليم الإسلام، هذا التطبيق الذي كان يفتقر إليه المجتمع سابقاً(قبل ظهور الإمام المهديّ(عج) لما قلناه بانعدام التطبيق الحقيقيّ العادل في الحقبة التي سبقته على نحو كامل من دون نقصٍ أو تقصير..

وبذلك يكون ما يأتي به الإمام المهديّ(عج) ليس جديداً، أو مختلفاً، أو معارضاً لدين الإسلام بل جديد ومختلف عمّا كان سائداً في المجتمع قبله، وهذا ما يجعلنا نجانب الصواب في حال قلنا إنّ ما يأتي به الإمام المهديّ(عج) خارجاً عن التشريعات، والمفاهيم الرئيسة في الإسلام لثبوت منهجية نظام الدولة المهدويّة التي يرأسها الإمام المهديّ(عج)، ويشرف عليها؛ إنما هي تستمدّ دستورها، ومنهجها، وقوّتها، وسدادها من تعاليم الدين الإسلاميّ الحنيف، ولا خروج لنظام دولة الإمام المهديّ العالميّة عندئذٍ عن خطوط الإسلام الواضحة، ولا مجال لأحدنا من القول بوقوعها بأيّ شكل من أشكال العنصريّة التي ينكرها الإسلام، ويدينها القرآن وتنكرها وتعارضها السُنّة، وعليه يتبيّن لنا جليّاً استحالة أن يقوم الإمام المهديّ(عج) بتغيير كلّ ذلك إطلاقاً ..

وإنْ نظرنا إلى دعوة الإمام المهديّ(عج) نجدها عالميّة الأهداف، والمقدّمات، والنتائج؛ ولا يمكن بحال من الأحوال اختزال أهدافها ذات الأبعاد والنتائج الكبرى على فئة معيّنة، أو مجموعة بذاتها لسببٍ يسير جدّاً هو أنّ كلّ دعوى تؤمن بعالميّة أهدافها، ومضامينها، وانطلاقاتها؛ نجدها تقف من العنصريّة موقفاً سلبيّاً معارضاً، وتعدّها نظرة محدودة، وضيقة لا ترقى إلى أسلوبها الواسع وأفقها الفسيح.. فما بالك بدعوة الإمام المهديّ(عج) وعالميّة أهدافها، ومقدّماتها، ونتائجها المرتبطة ارتباطاً كبيرًا بحلقات التخطيط الإلهيّ ذات البعد الأزليّ، فهي - أي: دعوة الإمام المهديّ- أولى من غيرها وأحقّ بمعارضتها

الأكيدة لكلّ ما يمتّ بصلة للعنصريّة، وأشكالها الفئويّة الضيّقة.. وذلك لأنّ دائرة اتساع دولته(سلام الله عليه) خاضعة لعوامل اتساع وانحسار؛ تتأثر تبعاً لما تسير عليه من آيديولوجية وتطبيقات تجد صداها أمام العالم فكلما حملت آيديولوجيته وأنظمته وتشريعاته طابعاً عنصريّاً، وفكراً فئويّاً ضيّقاً انحسرت دائرة اتساع دولته العالميّة وضاقت، وبذا يكون من الصعب أن تحافظ دعوته على عالميّتها وسط هذه الأنظمة.. وهذا مناف لما هو متواتر عن دعوة الإمام المهديّ(عج) من أنها دعوة عالميّة ينضوي تحت ظلالها القاصي والداني والقريب والبعيد.. فضلاً عن حدوث إخلال كبير في آليّة تأسيس الدولة العالمية الحقة، وحينئذٍ هو خلافٌ لما يستهدفه الإمام المهديّ(عج)، ويرجو تحقيقه من أهداف من وراء ظهوره في آخر الزمان؛ بل ويعارض الغرض الأساسيّ الذي وجد التخطيط الإلهيّ لأجله.

لذا فعالميّة دعوته(سلام الله عليه) والأهداف الكبرى التي يتوخاها من ظهوره الميمون تمكنه من الاستيلاء على العالم بأسره، وفرض سيطرته الكاملة عليه، وتطبيق أحكام الإسلام على جميع ربوعه بعيداً عن كلّ إشكال العنصريّة الضيّقة والنظرة الفئويّة القاصرة.

ولعلّ بعضًا منّا حين يتضح أمامه معنى استيلاء الإمام المهديّ(عج) على العالم، وسيطرته النافذة على شتى مرافقه يتبادر إلى ذهنه إشكاليّة حول نوع هذا الاستيلاء وطبيعته وماذا سيكون شكله عنصريّاً أم لا ..؟!!

استيلاء الإمام المهديّ(عج) على العالم وبناء كيان دولته العالمية

من جملة ما يقرّه العقل ويؤدّيه هو استيلاء الإمام المهديّ(عج) على العالم بأسره، وبسط حكمه، وسيطرته عليه، وهذا الإقرار العقليّ معزز ومدعوم بأدلّة قرآنيّة جليّة الوضوح، وبأحاديث من السنّة المطهّرة تدعم القول الثابت وتؤيّده، بقطعية استيلاء الإمام المهديّ(عج) على العالم وحتميّته: «**ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً**»[1] وهذه الآيات القرآنيّة كثيرة منها:﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا منكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[2]،وقوله عزّ من قائل﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾[3]،وقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾[4].

وإلاّ كيف تراه يكون ملأ الأرض بالقسط والعدل من دون استيلاء حكومة الإمام المهديّ(سلام الله عليه) وسيطرته على كلّ مرافق الحياة في العالم ومفاصلها، ووصوله إلى سدّة الحكم،

---

[1] فيض القدير ،ج١،ص ٣٦٣.
[2] سورة النور: الآية٥٥.
[3] سورة الأنبياء: الآية ١٠٥.
[4] سورة الحج:الآية ٤١.

وتطبيق العدل تطبيقًا دقيقًا لا مجال للظلم والجور فيهـــا طرفـــة عين ..

إلا أنّ إشكاليّة الفهم المخطئ المتراكمـــة لـــدى بعـــضهم لمعنى هذا(الاستيلاء)على العالم تضعهم في دائرة الوقوع بالظنّ والشكّ، أو حتى الاعتقاد بأنّ هذا الاستيلاء على العالم قد يلازمه ويرافقه الاعتراف ببعضٍ من أشكال العنـــصريّة فيمـــا يتعلّـــق بالإمام المهديّ(عج) إبّان حقبة استيلائه على العالم، أو الحقبـــة التي تمهّد لها..!!

وجواب ذلك لابدّ من معرفـــة معنـــى اســـتيلاء الإمـــام المهديّ(عج) على العالم وإيضاح طبيعته، ودوافعه، ومقدّماتـــه، ونتائجه، فلو عَدَّ أحدنا (استيلاء الإمام المهديّ"عج") على العالم غزواً عسكريّاً مجرّداً لكان هذا الإشكال صـــحيحاً وقائمـــاً ولا غبار على من يظنّ ويعتقد بعدم منافاته للاعتراف بأيّ شكلٍ من أشكال العنصريّة، فالغزو العسكريّ المجرّد والمنحـــصر بـــين قوسيْ الرغبة في نيل السلطة والاستحواذ عليها يكـــون مناســـباً ومقترناً بالاعتقاد بالعنصريّة والاعتراف بها(وحاشا أن يكـــون للإمام المهديّ(عج) أيٌّ من هذه الأهـــداف العـــسكريّة الـــضيّقة المبنيّة على أساس حبّ السلطة واتباع شهوات النفس ..

بل إنّ استيلاء الإمام المهديّ(عج)على العالم وســـيطرته عليه ليس مجرد غزواً عسكريّاً مجرّدًا، بل من المحال فـــرض ذلك- ولو على سبيل الافتراض-، إذ هو دعوة عقائديّة وأطروحة عادلة كاملة يسعى إلى نشرها وتطبيقها على البشريّة أجمعـــين

(أسودهم وأبيضهم) وتربية البشريّة وفقاً لمبادئها تربية صالحة لا تحيد ولا تميل عن التخطيط الإلهيّ، لتتحقق بها العبادة المحضة لله عزّ وجلّ على وجه الأرض تبعاً للغرض الأساسيّ من خلق الخليقة ومن اليوم الموعود.

وإذا كانت الدعوة عالميّة بهذا الشكل، فإنها ستكون منافية للعنصريّة ومخالفة لكلّ معنًى من معانيها وأشكالها لوضوح أمرين مهمين ذكرهما المولى المقدّس محمّد الصدر(قده) في كتابه موسوعة الإمام المهديّ(عج) تاريخ ما بعد الظهور[1]؛هما:.

الأمر الأوّل :. إنّ التطبيق الحقيقيّ للعدل والتربية العادلة، لا يمكن إتمامهما إلا بجوٍ من الانسجام والتقبل النفسي للفرد والجماعة؛ لكي تترسّخ القواعد الأساسيّة، والسلوك الصالح في عالم الحياة.

وأمّا مع جوّ الانزجار والتأفف والتباعد، فلا يمكن أن تنال البشريّة مثل تلك النتائج الصالحة، ثمّ إنّه لا يمكن تطبيق العبادة الكاملة على تلك الجماعة فيكون مخلاً بالغرض الأساسيّ لخلق البشرية .

الأمر الثاني:. إنّ الاعتراف بالعنصرية بأيّ شكل من أشكالها يعني أنّ العنصر الآخر الذي لم يعترف به من البشر، وقام النظام على الالتزام بتسافله وخستّه أمام العنصر الآخر، سوف يشعر بالغربة في ذلك النظام وبالتعقد النفسيّ والانزجار، والتأفف تجاهه، بطبيعة الحال ..

---

[1] موسوعة الإمام المهدي(عج) تاريخ ما بعد الظهور،ج٣ص٨٢.

انتهى كلام المولى المقدس ...

لذا فبعد الالتفات إلى هذين الأمرين لا يبقـــى أمامنـــا إلاّ الاعتراف باستحالة قبول الإمـــام المهـــديّ(عـــج) بالعنـــصريّة وأشكالها، ومصاديقها لما لهذين الأمرين من أهمّيّة كبرى فـــي تطبيق العدل الحقيقيّ، والتربية الصالحة التي يـــستلزم حـــدوثَها تأييد واسع من الفرد والجماعة في المجتمع انطلاقاً من عامـــل الانسجام والتقبّل النفسيّ للأطروحة العادلة الكاملة وتشريعاتها.

وممّا يجدر الإشارة إليه بصفته حقيقة ثابتة فـــي عمـــوم العالم وبمختلف مجتمعاته البشرية أنّ أيّ عنصر من العناصـــر التي يتبناها العنصريّون المنضوون تحت أفق الفكر العنـــصريّ الضيق إنما يشكل أقليّة، ولا يمثل الأكثريّة في العـــالم..وهـــذه الحقيقة إنما توضح وبمقدار كافٍ ومعتدّ به أنّ الدولة العالميّة في حال تبنت أيّ عنصر من عناصر العالم، وفضلته على غيره من العناصر، إنما هي تتبنى مصالح الأقليّة من شعبها مـــن جهـــة، وتهمل أكثريتهم وتهمشهم من العنصر الأخسّ الأدنى من جهـــة أخرى..!! وهذا ما يشعر الأكثريّة بالتعقد النفـــسيّ والانزجـــار تجاه تلك الدولة على أنهم محكومون بالدنوّ والتسافل الطبقيّ، أو الاجتماعيّ تبعاً لتلك النظرة العنصريّة التي لاقوها..وعنـــدذاك يكون من المتعذر تربيتهم التربية الصالحة المرجـــوّة، ويكـــون الغرض من خلق الخليقة متخلفاً وخائبًا؛ لانقطاع أهمّ حلقة مـــن حلقات تطبيق الأطروحة العادلة الكاملة.

ونظراً إلى استحالة تخلف الغرض الأساسيّ لخلق الخليقة لثبوت ارتباطه بالتخطيط الإلهيّ الذي سبق أن أشرنا إلى حتميّة وقوعه لتعلقه بإرادة الله سبحانه وتعالى النافذة على خلقه، يتضح لنا لزوم كون الدولة المهدويّة العالميّة سلبيّة تجاه العنصريّة، ومخالفة لكلّ أشكالها الضيّقة، وتملك كلّ مقوّمات الحياديّة التامّة في التعامل مع العناصر البشريّة، وتلغي أسس التفاضل الخارجة عن إطار العقل التي ذكرها القرآن الكريم(العلم،والتقوى،والجهاد) وصولاً إلى التربية العادلة للبشريّة جمعاء، ولا امتياز لعنصرٍ على آخرَ، أو مجموعة بالحطّ من شأن مجموعة أخرى .

انتفاء الطرح العنصريّ العامّ عن عالميّة الدولة المهدويّة

قلنا إنّ نظام الدولة المهدويّة، وتشريعاته، وتطبيقاته، وقوانينه؛ إنما هي تشريعات، وتعاليم، وأحكام الدين الإسلاميّ الحنيف؛ التي لا مجال لها أن تنفكّ عنها بأيّ حال من الأحوال والمبنيّة على أسس سياسة التطبيق العادل لأحكامه؛ إذ تختلف اختلافاً كبيراً عن سياسة التطبيق(الهشة) القائمة في الحقب التي سبقت ظهور الإمام المهديّ(عج)، وقيام دولته العادلة..هذه السياسة التي تكون ولمدّة من الزمن عاملاً مساعداً على نموّ الشبهات، والإشكالات، والاعتراضات وازديادها التي يتشبث بها المنحرفون عن الدين الإسلاميّ الحقيقيّ، وأولئك المناوئون، والمعارضون لحكم الإمام المهديّ(عج) لما يجدونه مختلفاً ومبايناً لما كان سائداً في مجتمعاتهم آنذاك..

فضلاً عن ذلك فإننا قد علمنا وأيقنّا بأنّ استيلاء الإمام المهديّ(عج) على العالم، وبسط سيطرته، ونظام حكمه ودولته؛ على كلّ مفاصله ليس استيلاءً، أو غزواً عسكريّاً مجرّداً خاضعاً؛ لرغبة السيطرة المجرّدة وحبّ السيطرة، بل إنّ هذا الاستيلاء على العالم إنما يمثّل دعوة عقائديّة وأطروحة عادلة يهدف إلى نشرها، وتطبيقها على البشريّة جميعاً، وتربية البشر على أساسها تربية صالحة لتحقيق العبادة الكاملة لله عزّ وجلّ ..

لذا فهذا النظام المرتكز على أساس تطبيق الأطروحة العادلة على البشر جميعًا من دون استثناء لفئة معيّنة، أو تفضيل لأخرى، لا يمكن له بأيّ حال من الأحوال الاعتراف بالعنصريّة، أو الإيمان بأيّ شكل من أشكالها وألوانها؛ لصعوبة تحقيق أهداف الأطروحة المنبثق عنها- على أقلّ التقادير-إن لم يكن استحالة تحقيقها، وعدم إمكانها لما أوردناه سابقاً من أنّ التطبيق الحقيقيّ للعدل والتربية العادلة، لن يتأتى إتمامه وإكماله ما لم يجد جوّاً من الانسجام والتقبّل النفسيّ للفرد والجماعة لتترسّخ القواعد الأساسيّة، والسلوك الصالح في المجتمع.. فانعدام الانسجام والتقبّل النفسيّ لدى الأفراد يوجب انعدام تطبيق الأطروحة الكاملة ولا يمكن أن تحظى البشريّة بتلك النتائج الصالحة التي يرجوها الإمام المهديّ(عج) من ظهوره ممّا ينتج عدم إمكانيّة تطبيق العبادة الكاملة على تلك الجماعة فيُحدِث إخلالاً كبيراً بالغرض الأساسيّ لخلق البشريّة..

من هنا تتجلى أهمّيّة الجزم بأنّ موقف الإمام المهديّ(عج) من العنصريّة دائماً وأبداً ليس أقلّ من موقف المعارض السلبيّ منها والمنافي لأشكالها ..

إلا أنه قد يتبادر إلى الأذهان أنّ تطوّر الوعي البشريّ الذي يرافقه تطوّرٌ في الفكر الحديث المعاصر قد طوّرَ مفهوم العنصريّة ومصاديقها، لتصبح(العنصريّة) لا تعني تفضيل عنصر على عنصر آخر، وإنما تعني الاهتمام بمصالح مجموعة معيّنة مشتركة في اللغة، أو الوطن، أو المذهب، وغير ذلك، انطلاقاً من اشتراكها بالمصالح والتاريخ والآمال(كما هو سائد في عصرنا الحاضر على نحو كبير)..!!

وردّاً على ذلك نقول: إنه بغضّ النظر عن أنّ هذا التطوّر، أو التطوير لـ(مفهوم العنصرية) لا يخرج بالفكرة عن التحديد والأنانية، ثمّ عن العنصريّة نفسها، فإنها أوضح بعداً وابتعاداً عن الفكرة المهدويّة العالميّة من العنصريّة نفسها..لأنّ هذا الطور من العنصريّة يوجب الاهتمام ويفرضه بمصالح مجموعة معيّنة لا بمجموع البشر..الأمر الذي ينافي أحد أكبر مقوّمات الدولة المهدويّة المباركة ويتعارض معها؛ التي تهتمّ بمصالح عموم البشر وتربيتهم وآمالهم، لا بمجموعة معينة منهم؛ وبغضّ النظر عن أهمّيّتها وصفاتها وجنسها..

وربّما يخطر في الأذهان إشكال آخر، ليدّعي أنّ هذا الاتجاه، أو الفكر لا يصحّ في الدولة العالميّة، ولكنها ــ أيّ الدولة المهدويّة العالميّة- قد تعطي لبعض الشعوب، والعناصر

المختلفة حريّة الاهتمام بصفاتها تلك، من دون أن يكون للحكم المركزيّ تركيز على جهة دون جهة ..

وهذا الإشكال مردود وليس صحيحاً؛ وهو غير محتمل أكيداً، لمخالفته الأسس العامّة للعدل الكامل من عدّة وجوه ومستويات؛ أوّلها وأوضحها أنّ هذا الاتجاه سيولد كثيرًا من التشاحن والتباغض بين عناصر المجتمع نتيجة لحريّة التفاخر، والتركيز العنصريّ على جهة دون أخرى..الأمر الذي يتعارض ويتنافى أكيداً مع العدل الكامل الذي يرتكز عليه نظام الدولة المهدويّة العالميّة.

إلا أنّه قد تبقى بعض الاتجاهات الفرديّة المتفرّقة هنا وهناك،الناشئة عن(لا شعور فرديّ أو جمعيّ لما قبل الظهور) المتولد لدى بعض الأفراد والجماعات نتيجةً لإحساسهم بأهمّيّة عنصرهم، أو طبقتهم، أو مذهبهم..إلاّ أنها تذوب وتتصهر تدريجيّاً تحت سلاح التربية المركزة والمستمرّة الذي تمارسه الدولة المهدويّة العالميّة تبعاً للأطروحة العادلة الكاملة.

ولن يبقى لأحدٍ بعد ذلك مجال لتطبيق العنصريّة، أو الاعتراف بها، أو القول بأهمّيّتها في ظلّ نظام الدولة المهدويّة التي تسعى إلى تطبيق الأطروحة العادلة الكاملة على البشر أجمعين من دون استثناء لفئةٍ معيّنة، أو تفضيل لأخرى، تحقيقاً للعبادة الكاملة المحضة لله عزّ وجلّ، وتطبيقاً للغرض الإلهيّ من خلق الخليقة ومن اليوم الموعود.

الأخبار الواردة عن أئمّة الهدى من آل محمّد (صلى الله عليه وآله) في شموليّة التنوّع العنصريّ ونفي العنصريّة عن دولة الإمام المهديّ(عج)

كثيرة هي الأخبار الواردة عن أهل البيت(صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) التي تكشف النقاب عن طبيعة الدولة المهدويّة العالميّة، وتبيّن موقف الإمام المهديّ(عج) من العنصريّة وأصنافها..

ومن بين هذه الأخبار يمكننا تصنيف ما ورد منها على ثلاثة أقسام :.

القسم الأوّل: الأخبار الدالة على شدّة حكم الإمام المهديّ(عج) وقساوته على العرب..نظراً إلى فشل أكثرهم في التمحيص الإلهيّ حال الغيبة، وتقصيرهم تجاه الشريعة الإسلاميّة، وتنصّل الكثير منهم عن واجباتهم وتكليفهم..ممّا يعطي دلالة واضحة على منافاة حكم الإمام المهديّ(عج) للعنصريّة وأشكالها..فلو كان الإمام المهديّ(عج) عنصريّاً، مؤمناً بها، مطبقاً لأيّ شكلٍ من أشكالها لمال إلى تفضيل أبناء لغته، وعنصره على أيّة حال..وما كان قاسياً وشديداً معهم..

ومن هذه الأخبار :.

ما أخرجه البخاري عن أمّ المؤمنين زينب بنت جحش(رض) أنها قالت:«**استيقظ النبيّ(ص) من النوم محمرّاً وجهُه يقول: لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب...**»[1].

---

[1] صحيح البخاري،ج٩،ص ٦٠.

أقول:. ما كان انزعاج النبيّ(صلّى الله عليه وآله وسلّم) وتأسّفه، واحمرار وجهه وتحذيره للعرب، وتألّمه؛ إلا لانحـــرافهم عـــن الشريعة، وخروجهم عنها بقرينة الحديث الذي يليه ويؤكد ذلـــك قوله(صلّى الله عليه وآله وسلّم)﴿**فإني لأرى الفتن تقـــع خـــلال بيوتكم كوقع المطر**..﴾ورواه أيضاً الترمذيّ، وقال هذا حـــديث حسن صحيح[١]، وأخرجه ابن ماجه في سننه[٢].

كذلك ما أخرجه ابن ماجه عن عبد الله بن عمر، قال :قال رسول الله(صلّى الله عليه وآله وسلّم):«**تكون فتنـــة تـــستنظف العرب، قتلاها في النار، اللسان فيها أشدّ من وقع السيف**»[٣].

ولهذا الحديث دلالة واضحة أكيدة على فشل العرب فـــي التمحيص الإلهيّ الذي يتخلل حقب عصر الفـــتن والانحـــراف خلال الغيبة الكبرى للإمام المهدي(عج)..وهذا ما وقع فعلاً .

ولِما نعلمه من موقف الإمام المهديّ(عج) من كلّ خائـــب في التمحيص، فإنه لن تأخذه في الله لومة لائم، أو(**يتعنصر**) لفئة ما أو(**يتحـــزّب**) لمجموعة معيّنة سوى الشدّة والقسوة مـــع كـــلّ خائب منحرف، أو عدوٍّ مناوئٍ؛ سواء كان من العـــرب أم مـــن غيرهم.

---

[١] الجامع الصحيح للترمذي،ج٣،ص٣٢٥.

[٢] سنن ابن ماجه،ص١٣٠٥.

[٣] سنن ابن ماجه،ص١٣١٢.

وعن أبي بصير قال: قال أبو جعفر (ع):« **يقوم القـــائم بأمرٍ جديد، وكتاب جديد، وقضاء جديد، على العـــرب شـــديد، ليس شأنه إلاّ السيف، ولا يأخذه في الله لومة لائم..**»[١].

وفي حديث آخر عن أبي عبد الله(ع) قـــال:« **إذا خـــرج القائم لم يكن بينه وبين العرب وقريش إلاّ السيف..**»[٢].

وغير ذلك الكثير من الأحاديث الدالة علـــى أنّ المعيـــار الحقيقيّ، والميزان الصحيح القائم في نظر الإمام المهديّ(عـــج) ونظام دولته هو الإيمان والنجاح في التمحيص، وما دون ذلـــك من لغةٍ، وقبيلة، وعنصرٍ، ومذهب؛ لا يمثل شيئاً ولن يكون لـــه أصل في دائرة حكمه، وسياسته، ونظامه، فهو(سلام الله عليه) لا يميل إلى أهل لغته(العرب)، ولا لقبيلته(قريش)، ولا لأيّ صنفٍ من هذه الأصناف العنصريّة الضيّقة، أو التكتلات الفئويّة، بـــل يأخذهم أخذاً شديداً، ويسوقهم سوقاً قاسياً نحو طاعة الله سبحانه وتعالى، ويجري عليهم الحكم والعقاب على ما فات مـــنهم مـــن ذنوبٍ، وقصور، وتقصير.

القسم الثاني. **الأخبار الدالّة على أنّ أصحابه الممحِّـــصين الخاصّين الذين يجتمعون إليه، ويحاربون بين يديه؛ ليسوا من عنصر واحد، بل من مختلف بلدان العالم.**

ومن هذه الأحاديث:.

---

[١] الغيبة للنعماني،ص١٢٢.

[٢] نفس المصدر والصفحة .

عن أبي عبد الله(ع) يقول فيه عن أصحاب القائم(عج): **فيتوافدون من الآفاق ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً،عدّة أهل بدر.. »**[1].

وهذا الحديث واضح الدلالة على ورود أصحاب القائم الممحِّصين الخاصّين من مختلف العالم، وتوافدهم عليه من دون استثناء لبلدٍ دون آخر، وعدم اقتصارهم على فئة معيّنة أو بلدٍ ما..

وكذلك أيضاً ما أخرجه النعمانيّ في غيبته بإسناده عن عليٍّ(عليه السلام) يقول فيه:.

«ثمّ يجتمعون قزعا كقزع الخريف من القبائل، ما بين الواحد والاثنين والثلاثة والأربعة والخمسة والستة والسبعة والثمانية والتسعة والعشرة ...»[2]

فتصريح هذا الحديث غاية في الدلالة على عدم التمييز بين القبائل والأنساب في أصحاب الإمام المهديّ(عج)، ولا تفضيل لقبيلة، وعناصرها على قبيلة أخرى، إنما الميزان الواحد هو عمق الإخلاص وقوّة الإيمان، والإرادة، ولاشيء سوى ذلك.

كذلك ما ورد عن الإمام الباقر(ع) أنه قال:. «**أصحاب القائم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً.. من أولاد العجم بعضهم..**»[3]

.

---

[1] الغيبة للنعماني،ص٢٨٤.

[2] نفس المصدر السابق والصفحة .

[3] الغيبة للنعماني ،ص١٧٠.

أقول:. ينبغي لنا الإشارة لمعنى كلمة(**العجم**) الواردة في الحديث وعدم الوقوع في إشكالية الفهم المخطئ لما تعنيه كلمة(**العجم**)..، فالمراد بـ(**العجم**) هم غير العرب لا خصوص الفرس، كما هو معروفٌ في اللغة ..

ومضمون الحديث الوارد على أنّ أصحاب القائم؛ بعض منهم (**عجم**) يؤكد دخول (**غير العرب**) في ساحة أصحاب الإمام المهديّ(عج) وأنصاره؛ لنجاحهم في التمحيص واجتيازهم لحقب اختبار ما قبل الظهور من دون نقصٍ، أو قصور، فليس للغةٍ، أو دمٍ، أو عرقٍ، أو عنصرٍ دخل في ذلك، وإلاّ لما كان الإمام المهديّ(عج) يقبل أن يكون في أصحابه إلا العرب واقتصاره على هذا العنصر وحده، بل الميزان والمعيار في ذلك كما قلنا أعمق بكثير من العنصر، واللغة، والدم، والعرق؛ فهو عمق الإيمان والإخلاص وقوّة الإرادة والنجاح في التمحيص .

القسم الثالث:. **الأخبار الدالّة على اشتراك غير العرب في حكم العالم وهداية البشريّة تحت ظلّ دولة الإمام المهديّ(عج)**

ومن هذه الأحاديث:. ما رواه النعماني في غيبته بسنده عن الإصبغ بن نباتة؛ قال:.

«سمعت عليّاً(ع) يقول: كأنّي بالعجم فساطيطهم في مسجد الكوفة يعلمون الناس القرآن كما أنزل»[1].

أقول:. إنّ تعليم القرآن يمثل ركيزةً أساسيّة في هداية البشريّة وتربيتهم التربية الصالحة؛ طبقاً لأنظمة الأطروحة

---

[1] الغيبة للنعماني٣١٨.

العادلة الكاملة وقوانينها؛ وهذا هو الغرض الأساسيّ من خلق البشريّة وظهور الإمام المهديّ(ع)، وقيام اليوم الموعود تحقيقاً للعبادة الكاملة المحضة في ربوع البشرية لله سبحانه وتعالى دون انحراف أو ميلٍ.

وما يهمّنا في هذا الحديث بصدد موضوعنا أنّ العجم الذين هم غير العرب كما أسلفنا يضطلعون بمسؤوليّات اليوم الموعود ومهامّه في هداية البشريّة، ومن ضمنها تعليم علوم القرآن وفقاً لمعانيه الواقعيّة التي أخذوها، واستقوها مباشرةً من الإمام المهديّ(عج) نفسه بالشكل الذي يختلف اختلافاً كبيراً عمّا كان سائدا قبل ظهور الإمام المهديّ(عج)..فعدم اقتصار المسؤوليّات المناطة بأصحاب الإمام المهدي(ع) على العرب وحدهم، واضطلاع غيرهم بقسمٍ منها ينفي فكرة وجود أيّ شكلٍ من أشكال العنصريّة في دولة الإمام المهديّ(عج).

وخلاصة القول:.

نقول:

وبهذا لا يكون أمامنا إلاّ الاعتراف، والقول بالجزم على أنّ موقف الإمام المهديّ(عج) إزاء العنصريّة لا يكون غير النفي والمعارضة لها، ولأشكالها، وعدم الإقرار بها في ظل نظام دولته العالمية المباركة التي تملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وتطيح بكلّ مصاديق الظلم، والجور، والاستكبار. لأنه وكما دلّت الأخبار والروايات الواردة عن أهل البيت(عليهم السلام أجمعين)؛ لا يمثل إلاّ تعاليم الدين الإسلاميّ، ولا يطبّق سوى

تشريعاته وتطبيقاته أو يشرعها؛ التي قد تكون همشت وحرّفت و لربّما ركنت إلى جنب في عصور ما قبل الظهور، ولعل هـذا الأمر هو الذي جعل ظهوره(سلام الله عليه)، وقيام دولته العادلة الكاملة بهذه التشريعات، والتعاليم يعدّ أمراً جديداً، ومختلفاً عمّـا كان سائداً في تلك الحقب.

والحمد لله ربّ العالمين .